سينما

## حمص في وثائقيّ جديد

# سلاسة بصرية تروي قهراً

يعود مخرج شاب إلى حمص ليحصّن الذاكرة من النسيان فإذ بأشباح الحرب وخرابها وقهرها تملأ حكايات يرويها أفراد يغضبون ويحزنون

**نديم جرجوره**

لقطات مُصوّرة في أحياء مختلفة، بعضها فارغٌ كلّياً، وأبنية مدمّرة، وأناس يبيعون خضاراً وفواكه، ورجال وشبان يعملون في مهن يدوية عدّة، وحكايات تُروى على ألسنة أفرادٍ تنبثق منهم/منهنّ، وكاميرا تتجوّل في نفوس وأزقّة، وكلامٌ تتكرّر فيه مفردتا غضب وحزن، وهاتان مشترك أساسيّ بين بعض رواة الحكايات، لكنّ الغضب والحزن نفسيهما يظهران في ملامح آخرين أيضاً، وإنْ من دون تعبير مباشر.

وصفٌ كهذا يقول شيئاً من «ذاكرتي مليئة بالأشباح» (2024)، للفلسطيني أنيس زواهري (مُقيم في سورية)، الفائز بجائزة «نجمة الجونة» لأفضل فيلم وثائقي عربي، مناصفة مع الفيلم المصري «رفعت عيني للسما» لندى رياض وأيمن الأمير، في الدورة السابعة (24 أكتوبر/تشرين الأول . 1 نوفمبر/تشرين الثاني 2024) لـ«مهرجان الجونة السينمائي». فالمخرج يعود إلى حمص، «مدينتي القديمة» (كما يكتب في بداية الفيلم)، والعودة هادفةٌ إلى منع النسيان من النيل منه، وليصنع لنفسه «ذاكرة مما تبقى»، فإذْ بالأشباح «تملأ ذاكرتي».

تقديمٌ يوحي برغبةٍ في التخفيف من قسوة المُصوّر والمرويّ، أو بمحاولة توضيح رؤيةٍ، يكتشفها زواهري في اشتغاله على وثائقيّه الجديد هذا بين يونيو/حزيران وديسمبر/كانون الأول 2023، تصويراً (حمزة بلوق) وتوليفاً (علي قزويني). جملةٌ تقول كثيراً عن أناسٍ يُقيمون في جحيم وموت، وبين أنقاض وذكريات، ومع ألم مُتَوّج بغضب وحزن. جملةٌ تعكس بعضَ المخرج، قبل أنْ تُشكّل يوميات أفرادٍ مُصابين بأعطاب نفس وروح، فالمدينة غارقةٌ في خرابٍ غير مكتفٍ بالماديّ، والناس مُقيمون في أمكنتهم/أمكنتهن، وبعض الأمكنة غير موجودة، فيهيم هؤلاء في فراغ وضياع، أو في متاهاتٍ واختناق.

والرواة (الحكايات المروية مستلّة من ذاكرة سندس زنكاوان والياس هزيم ووسيم تومانى وسلوى الأقرع وساندرا خزام وأسامة أيوب ورماء قنجعة، كما في جينيريك النهاية)، إذْ يروون حكاياتهم/حكاياتهنّ، يكتفون بظهور أمام الكاميرا من دون أنْ ينطقوا بكلمةٍ واحدة: جلوسٌ في غرفة، تنقّلٌ بين أكثر من غرفة، سطحُ منزل، حقلٌ يتّسع لمزيدٍ من قهر وألم. يظهرون، فينظرون إلى عدسة الكاميرا مباشرة، أو يُشيحون النظر عنها كلّياً، كأنّ فيها انعكاسُ لما ينفضُون عن مشاهدته، أو ربما لامبالاة قاتلة، فالمُصاب ينزع منهم/منهنّ الأثمن والأعمق والأجمل، واللاحق هباء ولاشيء. والنظرة هذه، إنْ تحدث، غير متحدّية وغير مستفزّة وغير مستسلمةٍ وغير معاندة، فتكون عاديّة إلى حدّ مخيف.

في مقابل هؤلاء الرواة، هناك شبابٌ وأولادٌ يعملون ويلعبون ويركضون ويجلسون، فيُطلب منهم ثباتاً أمام الكاميرا، من دون كلام أو حركة، لثوانٍ عدّة. منهم من يُشاغب، فيتحدّث قليلاً، وبعضهم يضحك أيضاً، والابتسامات أكثر. لقطات تُشبه صوراً قديمة، بالأسود والأبيض (بدايات التصوير الفوتوغرافي)، المُلتقطة لأفرادٍ: زوجان، عائلة، أم ورضيعها، مثلاً. في «ذاكرتي مليئة بالأشباح»، تتحوّل الكاميرا الفوتوغرافية القديمة إلى عدسة توثيقية، والصُور ملوّنة، والعلاقات بين المُصوَّرين غير عائلية، واللحظة مختلفة تماماً. ففي دمار أبنية وفراغ شوارع، هناك أمكنة تضجّ بحياة يومية، تمتزج فيها تناقضات عيشٍ في مدينةٍ غير سليمةٍ من حربٍ «منتهية». تصوير مقهى شعبيّ فارغ يُرافق وكلامٌ عن تحوّل يعطب حمص، المعروفة سابقاً بضحك ناسها ومرحهم، بينما الحرب تقضي على كلّ ضحكٍ ومرح. كلامٌ عن وحدةٍ وإيجابياتها، قبل أنْ تفقد الوحدة إيجابياتها، يُسمع مع لقطات لرجل جالسٍ لوحده أمام طاولةٍ على رصيف، يدخّن ويشرب القهوة ومسبحةٌ بيده اليُسرى، وينظر إلى ما لا يُرى خارج الكادر. جولةٌ لأعمى، رفقة صديق أو قريب، في أزقّة مدمّرة، والصوت يروي حكايته مع المُشاهَد، وكيف أنّه منزّه عن قهرٍ لعدم رؤية آثاره، بينما القهر يُصيبه عند عودته إلى منزله بحثاً عن بقايا أثاثٍ وأغراضٍ وملابس (تساؤلات عن ثنائية الرؤية/العمى، وعلاقتها بالحرب والخوف والقلق والألم). شابةٌ تتجوّل في بيتٍ شبه فارغ وشبه مدمّر، وتسرد مقتل والدتها على أيدي مُراهِقَين يريدان مالاً. شابةٌ أخرى تسبقها بكلامٍ عن رابطٍ متين بأب يُقتل في معركة بين طرفين عدوّين، وعنْ لاحق ضاغطٍ وقاسٍ وبشع. شابٌ يُخطف شقيقهُ ثم يُطلق سراحه، وبعد وقتٍ يُقتل، ثم يتوفّى والده، فوالدته.

هذا بعض المرويّ، بوطأته الثقيلة، المتشابهة بوطأة خراب مدينةٍ، تحاول عيشاً، كما يحاولون هم/هنّ أيضاً. يستحيل سرد الحكايات كلّها، والأقسى فيها مخبّأ في الظاهر منها. علاقات تندثر، وتساؤلات عن مستقبل، الإجابات عليها مُعلّقة وغامضة، وعودة/خروج مُلتبسان. لكنّ هذا مُصوَّر بسلاسة بصرية، تتحرّر من تسطيح وتبسيط لشدّة امتلاكها حيوية توثيق ما يُعاش راهناً، وما يُثقل على ذاتٍ من ألم حاصلٍ في ماضٍ قريب. سلاسة تُصنع برويّةِ باحثٍ في ذاكرة مدينة تصنعها حكايات أفرادها، وفي ذكريات أفرادٍ مليئة بالأشباح.

البنية الفنية لـ«ذاكرتي مليئة بالأشباح»، الحاصل على تنويه خاص في مسابقة الدورة الـ55 (12 . 21 أبريل/نيسان 2024) لمهرجان «رؤى الواقع»، عادية في متتالياتها الحكائيّة، المترافقة وصُور تحصّن الراهن من النسيان (كما في جملة البداية). بنيةٌ تصنع شكلاً بصرياً يُسهّل مشاهدة خراب والاستماع إليه، وأحياناً لمسه بعينٍ وأذنٍ. أمّا الإحساس، فلن يختلف كثيراً عمّا يعيشه رواة الحكايات الصعبة.

> شكل بصري يسهل مشاهدة خرابٍ ولمسه بعينٍ وأذن

«ذاكرتي مليئة بالأشباح»: لا شيء يعلو فوق الغضب والحزن (الملف الصحافي)

## «أفلامنا» اللبنانية: «عروضٌ تستعيد المُصادَر منا»

بيروت ـ **العربي الجديد**

أعلنت المنصة السينمائية اللبنانية «أفلامنا» برنامجاً جديداً، تستمرّ عروضه لغاية الرابع من ديسمبر/كانون الأول 2024. ومهّدت للبرنامج بمقدّمة جاء فيها أنّه، «مع تواصل إسرائيل هجومها على غزّة، استكمالاً لمشروع الإبادة الجماعية الذي بدأته منذ عقود، وبينما تبدأ عدواناً جديداً على لبنان، تُخصّص (أفلامنا. أونلاين) الأشهر الثلاثة المقبلة بعرض أفلام نضاليّة لمخرجين من فلسطين ولبنان وسورية، توثّق عقوداً من الظلم والمقاومة والتضامن، ومن نضال أهل الأرض وأرواحهم التي لم تنكسر يوما»، مُضيفةً تمنّياتها بألاّ تكون هذه الأفلام «مجرّد صرخة في الفراغ»، بل استرجاعاً لـ«صورتنا» المُصادرة: «نريدها أنْ تزرع الأمل، وتساهم في النضال الحقّ».

■ «33 يوم» (2007، 70 د.) للفلسطينية مي المصري (لغاية 13 نوفمبر/تشرين الثاني 2024): مُصوّرٌ في «حرب تموز» (2006) بين إسرائيل وحزب الله اللبناني، يوثّق الفيلم يوميات أربعة شباب يعملون في المسرح والإعلام والإغاثة الطارئة، ويسرد قصصاً غير مرويّة، لها بصمة في حياة ناجين من ذاك الصيف المصيريّ في بيروت. كما تستعرض أحوال بيئةٍ وحالات أفراد، وفقاً لمسارٍ تاريخي سابق، لعلّه يبدأ مع اغتيال رفيق الحريري، الرئيس الأسبق للحكومة اللبنانية، في 14 فبراير/شباط 2005. لكنّ الأهمّ في «33 يوم» كامنٌ في التقاطه نبض مدينة (بيروت) وغليان أناسٍ وتفكير أفراد وواقع عيشٍ، كعادة المصري في اشتغالاتها الوثائقية.

■ «متسلّلون» (2012، 70 د.) للفلسطيني خالد جرار (7 . 20 نوفمبر/تشرين الثاني 2024): يوثّق المصاعب اليومية التي يواجهها الفلسطينيون في محاولتهم العثور على طرق للمرور عبر/تحت/حول/فوق شبكة مُربكة من الحواجز الإسرائيلية.

■ «1982» (2019، 100 د.) للّبناني وليد مونس: مع اقتراب نهاية العام الدراسي في 1982، يحصل الاجتياح الإسرائيلي للبنان. يُصمّم وسام (11 عاماً) على أنْ يبوح لزميلته جوانا بحبّه لها، بينما يحاول المدرّسون والمُدرّسات، المنتمون إلى خلفيات سياسية مختلفة، إخفاء مخاوفهم.

■ «بيروت مدينتي» (1982، 38 د.) للّبنانية جوسلين صعب (21 نوفمبر/تشرين الثاني . 4 ديسمبر/كانون الأول 2024): في يوليو/تموز 1982، فرض الجيش الإسرائيلي حصاراً على بيروت. قبل ذلك بأربعة أعوام، شاهدت جوسلين صعب منزل طفولتها (المبني منذ 150 عاماً) يحترق أمام عينيها. سألت نفسها: متى بدأ كلّ هذا؟ أصبح كلّ مكان موقعاً تاريخياً، وكلّ اسم ذكرى.

■ «حكاية قرية وحرب» (1979، 24 د.) للّبناني مارون بغدادي (21 نوفمبر/تشرين الثاني . 4 ديسمبر/كانون الأول 2024): عن أهالي جنوبي لبنان في فترة الاجتياح الإسرائيلي الأول للبنان، عام 1978، كاشفاً معاناتهم اليومية مع الاحتلال. عُرض الفيلم في مبنى الأمم المتحدة، بطلب من غسان تويني، مندوب لبنان في المنظمة الدولية حينها، وساهم العرض في إصدار القرار 425، الذي ينصّ على انسحاب إسرائيل من البلد.

جوسلين صعب: «متى بدا كلّ هذا؟» (ربيع مغربي/فرانس برس)

## أخبار

◆ تستمرّ الدورة الرابعة لـ«مهرجان البحرين السينمائي»، التي تُركّز أساساً على الأفلام القصيرة، ودعم المواهب الشابة والواعدة، محلياً وخليجياً، لغاية السابع من نوفمبر/تشرين الثاني 2024، يُعرض فيها 89 فيلماً في خمس مسابقات: روائية ووثائقية وأفلام طلبة وأفلام تحريك، إلى أفلام بحرينية. وكرّمت إدارة المهرجان، في افتتاح هذه الدورة مساء الأحد الفائت، الممثلتين البحرينيتين مريم زيمان وفاطمة عبد الرحيم، والممثل الكويتي محمد المنصور.

◆ يُكرّم «مهرجان القاهرة السينمائي الدولي»، في دورته الـ45، (13 . 22 نوفمبر/تشرين الثاني 2024) المخرج المصري يُسري نصرالله، بمنحه «جائزة الهرم الذهبي التقديرية لإنجاز العمر»، والممثل المصري أحمد عز، بمنحه «جائزة فاتن حمامة للتميّز»، والمخرج دانيس تانوفيتش (البوسنة الهرسك)، الذي سيترأس لجنة تحكيم المسابقة الدولية. يُذكر أنّ إدارة المهرجان اختارت «أحلام عابرة» للفلسطيني رشيد مشهراوي (كتابة وإخراجاً)، لافتتاح الدورة نفسها: في بيت لحم، حيث صُوِّرت الأحداث، يقوم سامي (12 عاماً) برحلةٍ ليوم واحد (24 ساعة)، رفقة عمّهِ وابن عمه الأكبر سنتين منه، بحثاً عن طائره المفقود، إذْ أخبره جيرانه أنّه ربما عاد إلى موطنه الأصلي.

◆ بعد أربعة أعوام على عودتها إلى كندا، موطنها الأصلي، كشفت باميلا أندرسون (57 عاماً) سبب تركها أضواء الشهرة في هوليوود، إذ قالت إنّ قرار العودة تزامن مع تفشّي كورونا، وهدفه الابتعاد عن صخب هوليوود، وإعادة النظر بعمق في حياتها، واستعادة نفسها التي كانت عليها قبل الشهرة، والابتعاد عن تنفيذ رغبات الآخرين: «كنتُ محتاجة إلى أنْ أتذكّر من أنا».
كما قالت إنّها، قبل أعوام من انتقالها النهائي إلى بلدها، خاضت تجربة التأمّل الذاتي في فانكوفر (جزيرة كبيرة في كولومبيا البريطانية، تابعة لكندا): «حينها، أدركت أنّ الابتعاد عن الأضواء والعيش بين الورود على أنواعها، أجمل إنجاز يمكن أنْ أحقّقه في حياتي».

## أقوالهم

تحقّق فاطمة البنوي (Getty) أحد أحلامها في فيلمها الجديد «بسمة»: الجمع بين السينما والعالم البصري السمعي والنفسية الاجتماعية والواقعية القريبة من موضوع عالمي، لافتة إلى أنّ القصّة يتناولها السعوديون، لكنهم ليسوا متفرّدين بها.

**فاصلة**

في هذا القرن الجديد، أصبحتُ أكثر كآبة وأكثر تقشّفاً وأكثر حزناً وأقلّ ثقة وأكثر افتقاداً للأمان وأشدّ خوفاً. هناك مهارات معيّنة تتلاشى تدريجياً بمرور الوقت. أتذكّر أنّني، في شهر واحد، كنتُ أفكّر في 10 قصص يمكنني كتابتها وتحويلها إلى أفلام. اليوم، اختفت هذه القصص. لحسن الحظ، الأدب والسينما مهنتان تتمتّعان بطول العمر. الأمر ليس كلاعب تنس تنتهي مسيرته المهنيّة عندما يبلغ 35 عاماً.

**بيدرو المودوفار**

أنا فضولية للغاية بشأن من سيشاهد «المتدرّب» (2024، للإيراني الدنماركي علي عباسي). لم أكن أرغب في مشاهدته بنفسي. دونالد ترامب موجود فعلياً في كلّ مكان في الساحة الأميركية، فهل لا أزال أرغب في مشاهدته على الشاشة لمدّة ساعتين؟

**الكسندرا شوارتز**

## أفعالهم

Hatch: Protection Rapprochee لجيمس كَلِن بْراساك، تمثيل جان كلود فاندام و**كريسْتانّا لوكن** (Getty): عندما يُقتَل مُخبرٌ بشكل غير مقصود، يلتزم صديقه ورفيق سلاحه راسل هاتش بحماية ابنه جايدن. بعد أعوام، تحتدم حرب العصابات، ويتعرّض جايدن وعمّه لتهديد إحداها. لن يتوقّف هاتش عند شيء للوفاء بواجبه في حماية جايدن، ومحاربة أي شخص يعترض طريقه.

A Million Miles Away لأليخاندرا ماركيز أبيلاّ، تمثيل **فيرونيكا فالكن** (Getty) ومايكل بينا وغارّيت ديلاّهانت: خوسيه المكسيكي يعمل مع عائلته في الحقول، ويتعلّم اللغة الإنكليزية منذ بلوغه 12 عاماً. يشارك في تطوير أول نظام رقمي لتصوير الثدي بالأشعة السينية، للكشف عن سرطان الثدي باكراً، ويصبح أحد أفراد طاقم مهمة المكوك الفضائي STS-128.

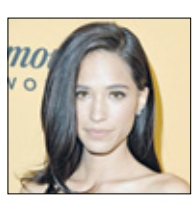

Don't Move لبراين نيتّو وآدم شيندلر، تمثيل **كِلْساي أسْبيل** (FilmMagic) وفِن ويتّروك: قاتل متجوّل يتمكّن من حقن أيريس بمادة تُشلّها، فتجهد مراراً في التخلّص منه، لكنْ كل من يساعدها يُقتل (نتفليكس).